

الممرات الإنسانية الآمنة... أداة لقتل الفلسطينيين

مقدمة

منذ السابع من كانون الأول 2023، تواصل القوة القائمة بالاحتلال "إسرائيل" عدوانها الحربي على قطاع غزة، مستهدفة المدنيين والاعيان المدنية المحمية بموجب القانون الدولي الإنساني، وقد وصل عدد ضحايا هذا العدوان حتى تاريخ 20/آذار 2024، إلى (31,819) شهيداً/ة، ووصل عدد المفقودين إلى أكثر من (7,000) شخص، في حين بلغ عدد المصابين نحو (73,934) مصاباً/ة¹.

أدى القصف المتواصل والعنيف على قطاع غزة، واستهدافه أساساً للمدنيين وللأعيان المدنية، بالإضافة إلى إصدار جيش الاحتلال لأوامر بإخلاء المواطنين من شمال ووسط قطاع غزة نحو جنوبه، إلى تحويل قرابة (1.9) مليون شخص، أي ما نسبته (85%) من سكان قطاع غزة إلى نازحين داخليين، يعيشون في ظروف أقل ما يمكن وصفها بأنها غير إنسانية.

ومنذ بداية العدوان الحربي أصدر جيش الاحتلال أوامر إخلاء، غير قانونية، للسكان المدنيين يأمرهم فيها بالتوجه إلى مناطق معينة عبر ممرات محددة، حيث حول جيش الاحتلال قرابة (246) كيلومتر مربع أي ما يعادل (67%) من مساحة قطاع غزة، إلى مناطق خاضعة لأوامر الإخلاء، وكانت هذه المناطق موطناً لقرابة (1.78) مليون فلسطيني قبل 7/أكتوبر 2023.

الممرات الآمنة في القانون الدولي

يمكن تعريف الممر الإنساني الآمن بأنه منطقة يتم إنشاؤها في خضم النزاعات المسلحة، وتتميز بأنها آمنة ومنزوعة السلاح، تهدف إلى ضمان خروج المدنيين من منطقة النزاع إلى مكان آمن، و/أو إيصال المساعدات الإنسانية اليهم، و/أو إجلاء ضحايا هذا النزاع.

وتقوم فكرة الممر الإنساني الآمن على عدة مبادئ تستند أساساً إلى مبادئ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، استناداً إلى مبادئ القانون الدولي الإنساني²، الذي يجب أن يوفر هذا الممر حماية لحياة المدنيين وضمان احترام كرامة الإنسان، وأن يكون متاحاً لجميع المدنيين المحميين دون تمييز، وأن تراعي المنظمات الإنسانية

¹ - تقرير صادر عن وزارة الصحة - قطاع غزة، بتاريخ 2024/03/20.

² - على سبيل المثال انظر المادتين (14 و15) من اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب المؤرخة في

الحصول على موافقة الأشخاص المعنيين والحفاظ على وحدة الأسرة، وتوفير وجهة آمنة يحتمي فيها اللاجئون تشمل على المأوى الملائم والغذاء ومرافق الرعاية الصحية. ولا يمكن إجبار المدنيين على مغادرة مناطقهم بشكل دائم عبر الممرات الإنسانية أو غيرها حتى لو كانت عمليات الإجلاء المؤقتة ضرورية للحفاظ على أرواحهم³.

تَعامُل "إسرائيل" مع الممرات الآمنة

تستخدم "إسرائيل" الممرات الإنسانية الآمنة من أجل تهجير السكان قسراً عن أماكن سكنهم الأصلية، ولا تحترم مبدأ توفير حماية لحياة المدنيين، واحترام كرامة الإنسان، حيث قام جيش الاحتلال، وفي أكثر من مناسبة، بقصف المدنيين الذين يستخدمون هذه الممرات بناء على تعليمات كان يصدرها الجيش حول أوامر الاخلاء والطرق "الآمنة" الواجب استخدامها من طرف السكان المدنيين في عمليات النزوح.

ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن "إسرائيل" تعلن، وبشكل منفرد، ودون التنسيق مع أي طرف ثالث مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر، أو الأمم المتحدة، عن الممرات الآمنة، والتي عادة ما يتم الإعلان عنها بالتوازي مع أوامر الاخلاء التي تصدرها، وتؤشر كل الدلائل على أن هذه الممرات يستخدمها جيش الاحتلال لمصائد للقتل، أو الاعتقال، أو سلب المواطنين نقودهم ومقتنياتهم الثمينة.

في 13 أكتوبر/تشرين الأول 2023، طلب جيش الاحتلال من سكان شمال قطاع غزة إخلاء منازلهم والتوجه نحو الجنوب، بحجة أن الجيش يستهدف هذه المنطقة بعمليات عسكرية، وكان هذا الإنذار موجهاً إلى حوالي (1.1) مليون شخص يعيشون في شمال القطاع.

وبناء على ذلك اضطر عشرات الآلاف من سكان شمال قطاع غزة الاستجابة لأوامر الاخلاء، متوجهين نحو جنوبي القطاع، ومع ذلك، في 14 أكتوبر/تشرين الأول 2023، قصف جيش الاحتلال مجموعة من المدنيين كانوا يستقلون شاحنة مكشوفة وواضحة، مما أسفر عن استشهاد ما لا يقل عن (70) شخصاً، من بينهم أطفال ونساء.

".... وبسبب اشتداد القصف في المناطق المجاورة اضطرت للمغادرة الى مدينة خان يونس وتوجهت جنوباً بناءً على تعليمات جيش الاحتلال الإسرائيلي بأنه تم انشاء ممر آمن لخروج المواطنين من شمال وادي غزة الى جنوب الوادي عبر شارع صلاح الدين، وكانت الطريق صعبة حيث أنني من ذوي الإعاقة الحركية ولا أستطيع الحركة الا على كرسي متحرك، وأيضاً كانت اعداد النازحين كبيرة وسمعنا أصوات انفجارات واطلاق نار وشاهدت أمتعة متروكة وجثث متحللة واشلاء ممزقة اثناء مروري. كما شاهدت اثناء مروري عبر الممر

³ - اللجنة الدولية للصليب الأحمر بصفتها حارساً للقانون الدولي الإنساني - اللجنة الدولية للصليب الأحمر (icrc.org)

إعدام شخص من ذوي الإعاقة الحركية والسمعية من قبل جنود جيش الاحتلال الإسرائيلي حيث نادى الجنود عليه لكنه لم يسمعهم بسبب إعاقة السمع فقاموا بإطلاق النار عليه مما أدى إلى مقتله. كما شاهدت اعتقال حوالي (20) شخص عبر الممر حيث تم المناداة عليهم وإجبارهم على شلح ملابسهم وإجلاسهم على الأرض وتم اعتقالهم.

وحينما وصلت مدينة خان يونس توجهت غرباً بسبب وجود إعلانات ومناشير من جيش الاحتلال بأن مناطق غرب خان يونس آمنة وذهبت لمنشأة تابعة للأونروا (صناعة خان يونس)،... وفي أحد الأيام ولا أذكره بالتحديد تفاجأت بسماع أصوات إطلاق نار وقذائف مدفعية وصوت اليات جيش الاحتلال في محيط المكان الذي زحت فيه (مقر الأونروا) وتم محاصرتنا لمدة (7) أيام تقريباً، كما تم قصف المقر وقتل حوالي (15) شخصاً،...⁴.

معاناة المواطنين خلال استخدام الممرات الآمنة

مع بداية العدوان الحربي على قطاع غزة، وصدر أوامر الإخلاء للسكان في شماله للتوجه نحو الوسط والجنوب، فتحت "إسرائيل" ممراً آمناً على طول محور المرور الرئيسي، طريق صلاح الدين، بين الساعة (09:00 - 16:00)، ويصل النازحون، عبر هذا الممر غير الآمن، إلى المفترق الرئيسي بجوار وادي غزة سيراً على الأقدام أو بعربات تجرها الدواب، لأن جيش الاحتلال يجبر المدنيين بإيقاف المركبات على بعد حوالي (4-5) كيلومترات من تلك النقطة، وغالباً ما يتعرض مستخدمو هذا الممر إلى التفتيش والاعتقال، والتكيل والضرب والمعاملة الحاطة من الكرامة الإنسانية بما فيها تجريدهم من ملابسهم أثناء التفتيش ولا يُسمح لهم إلا بحمل المتعلقات الشخصية، وسُجلت حالات كثيرة باستهداف هؤلاء النازحين بإطلاق النار.

ولا يوجد أي ضمانات لدى المواطنين الذين يستخدمون الممرات الآمنة من عدم المس بهم سواء باستهدافهم بالقتل بشكل مباشر أو اعتقالهم، أو الحط من كرامتهم، حيث يعتمد جيش الاحتلال باستخدام هذه الممرات كمصائد للموت والاعتقال وامتهان الكرامة الإنسانية. وتؤكد الشهادات التي قامت الهيئة بجمعها من مواطنين/ات، استخدام الممرات الآمنة على صحة هذا الأمر.

"...، وبعد أن وصلنا إلى منطقته الحلابات كانت تبعد المسافة بيني وبين أقرب شخص هي متر فقط وكان ممنوع النظر إلى جهة اليمين، وكنا نحمل أشياء خفيفة جداً لعلنا مسبقاً بعدم السماح بحمل أشياء ثقيلة وبعد

⁴ - واحدة من الإفادات التي قامت "الهيئة" بجمعها من سكان قطاع غزة، تعود للمواطن (أ. ز) من سكان بيت حانون شمال قطاع غزة، والذي نزح إلى مدينة رفح جنوبي القطاع، وموضع الإفادة "النزوح عبر الممر الآمن ومشاهدة إعدام أحد المواطنين من ذوي الاحتياجات الخاصة".

وصولنا الى الحلاية الاولى كانت الساعة تقريباً الحادية عشر صباحاً من نفس اليوم، وشاهدنا الدبابات تمر بجانبنا تقطع الطريق للانتقال من الشرق الى الغرب، شاهدنا ايضا جيب اسرائيلي يعتلي عليه القناصة كان ايضا يبعد امتار قليلة تقريبا (20) متر وكانوا ينادوا علينا برفع الهوية في اليد اليسرى، ...، وعند وقوفي في المكان بثواني شاهدت بركس حديد كان هناك معتقلين شباب معصبين الايدي ومكبلي الرجلين، كان عددهم تقريبا من (10-15) شاب، وكنت امشي وبجانبني بنتي اسيل وابنتي الاخرى البالغ من العمر 9 سنوات وابني ايضا المصاب في راسه وكنت خائفة عليهم كثيرا، وذلك لان ابني المصاب كان يدوخ ولا يحتمل المشي على القدم، وبعد عن دخول الحلاية الاولى قام الجندي بالمناداة على ابنتي الصغيرة وناداهما وعمرها 5 سنوات بالمقولة التالية (يا ام الجاكيث الأحمر، ام الخمار الابيض وتعالوا هنا) فذهبت بنتاي الصغيرة البالغة من العمر 5 سنوات والثانية البالغة من العمر 19 سنة وهي اسيل ووضع اسيل في الطابور الاول، واطلقوا سراح ابنتي التي تبلغ من العمر 5 سنوات بسرعه وابقوا على اسيل في الاسر،...، وانا فضلت انتظر ابنتي اسيل بعد الحلابات الى تقريبا الساعة 4:30 قبل المغرب الى جاء أحد النازحين وقال لي ان بعد هذا الوقت تبدأ القناصة بإطلاق النار فحذرنا الى ان اكملنا طريقنا الى مدينه النصيرات مشيا تقريبا على ساعة مشي على الاقدام وصلنا تقريبا على الساعة 5:30 مساء،...⁵.

الخاتمة

في ظل حرب الإبادة الجماعية التي تشنها "إسرائيل" على الفلسطينيين في قطاع غزة، ومن حقيقة أن "إسرائيل" لا تلتزم بالقوانين الدولية، وتحديداً مبادئ وأحكام القانون الدولي الإنساني الذي ينص على الزامية حماية المدنيين أثناء الاعمال القتالية، فإن هناك ضرورة بالضغط الجدي على "إسرائيل" لإجبارها على وقف الإبادة الجماعية للفلسطينيين في قطاع غزة، والضغط عليها من أجل توفير الحماية اللازمة للمدنيين بشكل عام، وللأشخاص الذين يختارون استخدام الممرات الآمنة بعدم التعرض لهم، ووقف استخدام هذه الممرات كمصائد لقتل المدنيين واعتقالهم. كما أنه وبعد مرور ستة أشهر على العدوان الحربي فقد أصبح من الضرورة بمكان أن يقوم المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية بالبدء بإجراء تحقيق جنائي فوري في الجرائم التي ما زال جيش الاحتلال ينفذها في قطاع غزة.

⁵- واحدة من الإفادات التي قامت "الهيئة" بجمعها من سكان قطاع غزة، تعود للمواطنة (خ. أ) من سكان الفالوجة شمال قطاع غزة، ونازحة الآن في مدينة خانيونس.